أحمد سيكو توري (1922-1984م)

د. مُحَمَّد الأمين سيلا

محاضر بجامعة الأمير سونكلا/ بكلية الدراسات الإسلامية، جنوب مملكة تايلاند، فرع فطاني – من غينيا كوناكري

أ. جبريل فابوري كروما

باحث في الشؤون الدولية، من غينيا كوناكري، مقيم في بريطانيا

الرئيس الغيني أحمد سيكو توري:

لقد كان في وُسْع التاريخ أن يمرّ بمدينة فارانا، كما مرّ بملايين المدن والقرى، دون أن يتريّث عندها كما تريّث على مدينة فارانا التي تميّزت بأحمد سيكو توري، وقدّمته للعالم، مدينة فارانا منبع نهر النيجر.

يرَى بعضُ المحلّلين أنّ الرئيس أحمد سيكو توريه، من الشخصيات المؤثرة في القارة السّمراء، ويرَون أنه كان شخصية ماندنكية غينيّة وإفريقية وإسلامية متفرّدة، حاضرة الذهن، حادّة الذاكرة، صاحبة رؤية مستقبلية ثاقبة، وصاحبة إيمانٍ قويٍّ بكلّ نَهْجٍ انتهجه.

انبثقت فكرة ثورته ورؤيته المستقبلية، من جدّه الإمام «سَامُوري تُورِيه»، وتتمثل في جعل القارة الإفريقية «الولايات المتحدة الإفريقية»، لقد سلك سيكو توريه هذا الطريق الوعر، وخاضَ غمارَه برغم صعوباته، وبرغم أنه نَهْجٌ شيّبَ الكثير، ولا يزال، فقد خرج توريه منتصراً بدولةٍ حديثة باسم «غينيا».

من ناحية أخرى؛ يرى بعضُ المحلّلين أنه كان ديكتاتوراً وسفّاحاً، أخذ دولته من رياض الأمل إلى مستنقع الفقر، ومن أولئك الكاتب الغيني، الموظف السابق في إدارة سيكو توريه، شارلز إ.سوري الذي شبّه سيكو توريه في كتابه Sekou Toure: L›Ange Exterminateur «سيكو توريه: ملاك الهلاك»، وأراد أن يثير الانتباه بعنوان الكتاب قبل مضمونه، فشبّه قصّة «ملاك العذاب» لدى اليهود، الذي كان يُرسَل لإهلاكهم على ارتكابهم الجرائم البشعة، بقصّة قائد الثورة وصانع الاستقلال القومي الغيني الحديث أحمد سيكو توريه.

نشأة أحمد سيكو توري Sekou Toure Ahmed:

لم تكن نشأة سيكو توري مختلفةً عن بني جلدته، فكانت نشأةً بسيطةً، في جوٍّ محافظٍ دينيّاً وثقافيّاً، وُلد في ٢٩ يناير ١٩٢٢م، في مدينة فَارَانَا (Farana)، في أسرة ريفيّةٍ ملتزمة دينياً، ويَنتسب أحمد سيكو توري بن «ألفا توريه» إلى قبيلة ماندِيكا (Mandinka)، التي كان لها دَوْرٌ نضاليٌّ كبيرٌ ضدّ الاحتلال الفرنسي، فجدّه هو «الإمام سَامُوري تُورِيه»، مؤسّس إمبراطورية وَاسُولُونْ

(Wassoulou)، الـذي قـاد الحركـة الوطنية ضدّ المحتل الفرنسيّ حتى نهاية القرن التاسع عشر.

أنهـى سيكـو تـوري دراسته القرآنيـة فـي مدينتـه فارانا وهـو طفـلٌ صغير، ثم انتقـل إلى مدينـة كِسِيدُوغُو ليلتحـق بالمدارس الفرنسية عـام ١٩٣٦م، وسعـى بعـد ذلك- اضطراراً- إلى مواصلة دراسته الصناعية والتقنية فـي مدرسـة (George Poiret) فـي كوناكري[١]، لكـن تمّ فصله منها لتنظيمه مظاهرة إضراب عن الطّعَام فيها.

اطّلـع في تلك الفتـرة على أعمال فلاسفـة الشيوعية فانبهر بهم، وبخاصّـة كارل ماركس وفلاديمير لينين، ثم حاول سيكو تـوري الدخول في غمار الوظائف، ولم يكن له حـظٌّ إلا في وظائف تافهة، لكنه اسْتَطَاعَ من خلالها تمويل تعليمـه وإكمالـه بدورات بالمراسلة، ولـذا لم يحصل على مؤهّلٍ أكاديمي رسمي[٢].

سيكو توري والاحتلال الفرنسي:

فتـح سيكـو تـوري عينَيْه علـى العالـم ودولتُـه تحت نِيـر الاستعمـار الفرنسـي، حيـث كان لفرنسـا في جنوب الصحراء الكبرى كتلتان كولونياليتان كبيرتان، هما:

١- مستعمـرة غـرب إفريقيـا الفرنسيـة (Afrique Occidentale Française (L›AOF: التي اتخذت دَاكَار (السنغال) عاصمة لها، تبلغ مساحتها ٦٣٣،٩٨٥،٤كم، تحولت إلى الدول الفرانكوفونية في غرب إفريقيا.

٢- مستعمـرة إفريقيـا الاستوائيـة (Afrique Equatauriale Française (L›AEF: كانت عاصمتها برزافيل (عاصمـة كونغو برزافيل حاليّاً)، وتبلغ مساحتها ٢،٥١٠،٠٠٠كم.

نظام إفريقيا الاستوائية الفرنسية:

كان النظـام الفرنسـيّ الكُولونيالـي نظاماً إداريّـاً مركزيّـاً، ذاق الإفريقيون تحته الكثير من صنوف العذاب، مثل: سياسة العنف الفرنسية، والتفرقة العنصرية[٣].

وبالإضافـة إلـى ذلـك قـام الفرنسيون باستخـدام الأفارقـة فـي الحربَيْـن العالميتَيْـن، علـى سبيـل المثال تـمّ تجنيـد ١٥،٠٠٠ رجـل فـي ١٩٣٠م، وتحويلهـم إلـى Tireilleurs Sénegalais، أي الرّمـاة السنغاليـون، وهـو النعت الـذي كان يُنعت بـه الإفريقيون السـود في الجبهة الفرنسية آنـذاك، بين ١٩٣٩-١٩٤٠م، وتـمّ إرسـال حوالـي ٨٠،٠٠٠ إفريقـي إلى فرنسـا، وبين ١٩٤٣-١٩٤٥م عَبَـرَ نحـو ١٠٠،٠٠٠ إفريقـي البحـر المتوسط للقتال في إيطاليا وغيرها[٤].

ولـم يقتصـر الاستغـلال الفرنسـي للأفارقـة علـى استخدامهـم في غمار الحرب، فقـد كان الأفارقة يعملون فـي المناجم لتقديم المواد الخـامّ لفرنسا، وفي المزارع، والأعمـال الشاقّـة القسريـة اللاإرادية التي أكلـت أرواح ملايين الإفريقيّين، والأدهى مـن ذلك كلّه والأمرّ، تقديم الإفريقيّيـن الضرائب للنظام الكولونيالي لتمويل الحربَيْن العالميتَيْن[٥]!

---

(١) George Poiret: مدرسة فنية صناعية يرسل عليها المواطنون من الدرجة الثانية تحت الحكم الكولونيالي.

(٢) أبعد الحكم الكولونيالي أحمد سيكو توريه عن مواصلة دراسته في المدارس الأكاديمية التي تخرّج الكوادر الذين سيُمسكون بزمام القيادة مستقبلاً، وقطعوا أمامه جميع طرق الموصلة للدراسة الأكاديمية، لأنه كان مشاغباً، ينتقد الحكم الكولونيالي في إفريقيا، وينتقد كذلك مادة التاريخ الإفريقي الذي اصطنعته فرنسا لتقول للمستعمرات الإفريقية بأنها لم تكن شيئاً قبل مجيء الرجل الأبيض، وخصوصاً أن هذه المواد كانت تنتقد رجال المقاومة، وتصوّرهم بأنهم كانوا بربريين وسفّاحين، ولم تكن تصوّرهم أبطالاً، مثل الإمام ساموري توريه جدّ سيكو توريه.

(٣) General History (73-Ali Mazrui (1999:68 of Africa VIII, Africa since 1935. UNISCO. Paris.

(٤) General (7-A.Abu Boahen (1990:164 History of Africa, VII Africa under Colonial Domination 1880-1935, UNISCO, Paris.

(٥) Basil Davidson (1983) Modern Africa : A social and political history, Routlodge, London, P.70.

بداية حياة سيكو توري العمليّة والسياسيّة:

كان سيكو توري من القلّة النادرة الذين لم يعرفوا ساحة المناجم والأعمال القسرية على التراب الإفريقي، ولا عرف ساحة حروب فرنسا، بل كان من الذين حصلوا على وظائف ذات سُمعة كبيرة، لكن بدراهم معدودة، كان الفرنسيون يزهدون فيها، ولكن كان الحاصل عليها من الأفارقة يعدّ كأنه أحد المبشّرين بالجنّة.

في عام ١٩٤٠م؛ عمل أحمد سيكو توري محاسباً لشركة النيجر الفرنسية، وحاول أثناء عمله فيها، إكمال دورسه، واجتاز الاختبارات بجدارة، ما مهّد له الطريق للانضمام إلى قسم الاتصالات (البريد، والبرق، والهاتف) بالإدارة الفرنسية.

بدأ سيكو توري- خلال عمله في البريد- يشجّع زملاءَه على تنظيم إضرابٍ عن العمل لمدة شَهْرَين لأجل الحصول على صفقةٍ جيدة، فاندلع صراعٌ عنيفٌ بين معسكر سيكو وزملائه وبين الإدارة الفرنسية، فأدّى الأمر به إلى الاستقالة عام ١٩٤١م.

برغم فَصْله من العمل واصل مقاومَتَه وكفاحَهَ، وكانت تلك المظاهرات في العهد الكُولونيالي مثمرة، حيث نجح سيكو توري في تأسيس النقابة الغِينيّة الأولى، نقابة عُمال البريد والاتصالات في عام ١٩٤٥م، وأصبح أمينها العام في عام ١٩٤٦م.

وبعد التأسيس؛ قرّبها سيكو توري إلى الاتحاد النقابي العُمّالي الفرنسيّ الكونفيدرالي المنتمي إلى الحزب الشيوعي الفرنسي، وأسّس سيكو توري كذلك مركز النقابة الفرنسية الغِينيّة: (اتحاد نقابات العمال) في غينيا.

في عام ١٩٤٦م؛ شارك سيكو توري في مؤتمر (CGT) في باريس، قبل أن ينتقل إلى وزارة الخزانة، ومن ثمّ أصبح الأمين العام لاتحاد العمّال بوزارة الخزانة.

حياة سيكو توري السياسية:

لقد كانت أوائل الخمسينيات من القرن المنصرم فترةً حاسمةً في حياة سيكو توري السياسية، حيث قاد العمّال إلى الإضراب العام، وفي ١٤ يونيو ١٩٥٠م حُكم على توري بالسجن ستة أيام إثر دعوته إلى الإضراب، فأمضى يوماً أو يومَيْن في الحَبْس الاحتياطي قبل إصدار الحكم عليه، قبل أن تُعطّل محكمة كوناكري تنفيذ هذا الحكم.

لم يكن غرض سيكو توري الأساسي يصبّ في السياسة، بل كان غرضُه الحقيقي هو النقابة، وعندما توفي الشخصية السياسية المعروفة في غينيا آنذاك «ياسين جالو» عام ١٩٥٤م؛ احتل سيكو توري مكانه؛ لأنه كان قد احتلّ مكاناً كبيراً في قلوب الشباب والنساء، تحت راية الحزب الديمقراطي الغِيني PDG/RDA في الانتخابات التي خاضها مع باري جوادو Barry Diawadou زعيم حزب الكتلة الإفريقية في غينيا Le Bloc Africain de Guinée، وخسر فيها توري، وقد زعم أنّ خسارته تعود إلى تلاعب الفرنسيّين بصناديق الاقتراع، وفي العام نفسه تمّ اختياره عمدة لكوناكري.

وبعد خسارته أمام باري جوادو؛ انتُخب في يناير ١٩٥٦م نائباً غينيّاً للبرلمان الفرنسي، مع رفيق دربه السياسي ديالو سيف الله.

سيكو توري في مجازفة الانفصال التام عن باريس:

قام الرئيس الفرنسي الجنرال ديغول بزيارة لغينيا في ٢٥ أغسطس ١٩٥٨م؛ لإقناع الغينيّين وعمدة كوناكري سيكو توري بالبقاء تحت وصاية فرنسا، باختيار «نعم» في الاستفتاء المترقّب، كان ديغول يتوقّع استقباله بالورد احتراماً وتوقيراً له، إلا أنّ سيكو توري أراد يضع لهذه العادة حدّاً، فهيأ الشارع الغِيني، وأراد أن يدخل التاريخ من بابه الأمامي، ومضى نحو حرب استعادة سيادة أرض وطنه المحتلة من قِبل باريس.

الخطبة الشهيرة لسيكو توري أمام ديغول:

لقد كان سيكو توري شخصية كاريزمية ديناميكية، وعلى قدرٍ كبيرٍ من العبقرية ورجاحة العقل، الذي من خلاله تمكّن أن يبعث الروح العاطفية المؤثّرة في النّاس فكريّاً وحسيّاً وانفعاليّاً، بواسطة مهاراته الخطابية الأخّاذة، الملامسة لحاجة النّاس.

فوجئ الجنرال ديغول بسلوك المستقبلين له بشوارع كوناكري، وهم يصرخون بكلمة (Independence)، وعندما وصل إلى القصر الشعبيّ؛ وقف البطلُ الغِيني الإفريقي على المنصّة، وهو ابن خمسةٍ وثلاثين ربيعاً، ليُلقي خطبةً تُكتب بماء الذهب، يردّدها جيلٌ بعد جيل، ومما قاله فيها: «السيد رئيس حكومة الجمهورية الفرنسية: إنّ هناك لحظات حاسمة في حياة الأمم والشعوب تحدّد مصيرهم، لحظات تاريخية نسجتها أيادي الأبطال بطريقتهم الخاصّة، طريقة تعبّر عن التطوّر البشري وعن جهاده...

الرئيس؛ نعلم أنكم كُلِفتم بمهمّة الحفاظ على وحدة المجتمع الفرنسي، هذا طموحٌ وجهدٌ نبيل، يُفترض من خلاله أن تفهم مطالب الشعوب الملتصقة بالمجتمع الفرنسي واحترام وَعْيها... في الواقع؛ يجب ألا تَكُون الأراضي (الإفريقية) الحالية AOF وAEF كيانات سرمدية، فسوف تتحولان إلى دولتَيْن قويتَيْن صديقتَيْن لفرنسا، ليسود الاحترام الإنساني والاجتماعي، وكذلك الاقتصادي والسياسي لدستور برلمانات هذه الدول وحكوماتها الديمقراطية.

نَحْنُ الإفريقيّين في غينيا؛ على ثقةٍ بأنّ شجاعتنا وولاءنا وسعينا المتواصل المُنتِج للخير، وحبّنا للعدالة والتقدّم، سيقود- مع مرور الوقت- قوة مجتمعنا مستقبلاً نحو الازدهار والحرية... سوف يؤكد الاستفتاء في ٢٨ سبتمبر أنّ الموقف الغِيني مواتٍ فقط لما ينصّ عليه الدستور:

١- الحقّ في الاستقلال والمساواة القانونية بين الشعوب المعنيّة، حقٌّ يعادل حرية هذه الشعوب لبناء مؤسّسات يختارونها، وممارستها في نطاقٍ واسعٍ في ولاياتهم وفي مجتمعاتهم، وإعطائهم قوة تقرير المصير والحكم الذاتي.

٢- بدون قانون الانفصال؛ سوف تَكُون العلاقات الفرنسية الإفريقية في الوقت الراهن علاقة عشوائية، أو ضبابية، ومفروضة على الجيل الناشئ.

أحمد سيكو توري كان رئيساً محبوباً على الساحة الإفريقية، وذلك لجهوده من أجل سلام الدول الإفريقية واستقلالها

٣- سيسّهل (الاستفتاء) التضامن الفعّال بين الشعوب والدول الحليفة تسريع تنميتها، ولقد قلنا لكم بصراحة، الرئيس، مَا مطالب الشعب؟... مطالبنا الأولى وحاجتنا الأساسية: كرامتنا، بحيث لن تكون هناك كرامة دون حرية، فنحن نفضّل أن نعيش بحريّتنا كفقراء على أن نعيش عبيداً بترف»[١].

وقعت هذه الخطبة على الجنرال ديغول وقوع النار في الهشيم، لأنّ الحُلْم الفرنسيّ لمشروع المجتمع الفرنسيّ تحوّل إلى كابوسٍ في غِينيا، وربما في إفريقيا أجمع، وأجاب الرئيس الفرنسيّ في نبرةٍ غاضبة: «حسناً يمكنكم أن تحصلوا على استقلالكم، لن تعترض فرنسا، لكن سيكون هناك بالطبع عواقب»[٢].

سيكو توري والاستفتاء:

بعد أن رجع ديغول خائباً من موقف الغِينيين وعمدتهم سيكو توري رئيس الحزب الديمقراطي الغِيني/ PDG/ RDA الذي يتمتع بشعبيةٍ ساحقة، نجح سيكو توري في تهميش نفوذ الممثل الفرنسيّ في غينيا، وأحبط كذلك

(١) Sekou Toure(1959) L'experience Guineenne et L'Unite Africaine, Impremerie Lemasson Saint-Lo (Manche). P 74-81.

(٢) Sekou Toure (1959) L'experience Guineenne et L'Unite Africaine, Impremerie Lemasson Saint-Lo (Manche). P 82.

اللعبة الفرنسية التي كانت متوقّعة في صندوق الاقتراع، ومن ثمّ صوّت ٩٥٪ من الغينيّين ضدّ الخطة الفرنسية والمجتمع الفرنسيّ في ٢٨ سبتمبر ١٩٥٨م[١].

استقلال غينيا:

بعد تلك الخطبة الشهيرة في ٢٥ أغسطس، والاستفتاء في ٢٨ سبتمبر، أُعلنت غينيا دولة مستقلة في ٢ أكتوبر ١٩٥٨م، وأصبح أحمد سيكو توريه رئيساً لجمهورية غينيا، في وقتٍ ليس في هذه الدولة الحديثة سوى ٢٠٠ خريج جامعي، ونسبة الأمية ٩٥٪، ومتوسط الدخل السنوي لمعظم الفلاحين حوالي ٤٠٪.

وبرغم كلّ هذه التحديات؛ فإنّه انتقد النُّخب الإفريقية المؤيّدة لفكرة الاندماج الإفريقي الفرنسيّ بقوله: «وإنه لسخفٌ كبيرٌ من جانب أولئك الزعماء الإفريقيّين المندفعين وراء أوهام الاندماج ونعيمه، التي لا يمكن أن يصلوا إليها بأفكار واقعهم العنصريّ الخاص، ونحن لا نقصد بالواقع العنصريّ مجرد الصفات البيولوجية، ولكننا نقصد الفروق الأساسية التي هي أكثر أهميّة، والتي لا يمكن أن تنحصر في البوتقة الأوروبية الإفريقية التي يحلُم بها هؤلاء السّاسة».

سيكو توري والثقافة الوطنية:

كان سيكو توري يُدرك أهمية الثقافة في حياة الشعوب؛ لذا فقد اهتمَّ باللغة الوطنية، وكان من مقولاته: «يجب ألا تظلّ إفريقيا خاضعةً لأفكار وأساليب التعبير التي فرضتها فرنسا وإنجلترا والبرتغال، وغيرها من الدول الأوروبية، عليها إلى الأبد- إذا تبنّت هذه الدول لغاتها كلغات رسمية-، بل يتحتَّم على الدول الإفريقية استعادة تقييم لغاتها الوطنية الخاصّة، وتحويل اللغة الوطنية الغينيّة إلى لغة ثقافية؛ تسمح لها باستعادة أصالتها؛ بتحرّرها من أشكال التعبير الأجنبية التي غالباً ما تَكُون البرهان والدليل على النقص الفكري».

وأضاف أنّ «الكولونيالية حطّمت الشخصية القومية الإفريقية؛ إلى حدٍّ جعل بعضنا ينظر إلى قيمنا وتراثنا وتقاليدنا الأصيلة، وصور إنسانيتنا، بعين الازدراء، بأنها مظهرٌ لحياةٍ همجيةٍ بدائية، لكي يخلق فينا العُقَد التي تؤدّي بنا إلى اختيار أسلوب الفَرْنسة... لذلك يجب أن نسعى بجهودنا المتواصلة لإيجاد طريقنا الخاص للتفكير والتطوّر؛ إذا أردنا أن يتمّ تطوّرنا دون المساس بشخصيتنا الإفريقية، إنّ أيسر طريقٍ لحلّ مشاكلنا هو الذي ينبع من واقعنا الإفريقي، وكلّما كانت هذه الحلول صادرةً من صميم طبيعتها وتطوّرها النظري وهدفها العلمي؛ كان حلّ المشكلات أسهل وأبسط، لأنّ الذين يشتركون في وضعها لن يكونوا ضائعين في متاهات التفكير النظريّ المجرد، والبُعد عن واقعهم وظروفهم الخاصّة، هكذا يجب أن تعبّر صفاتنا المميزة عن إبداعنا الأصيل في التفكير والعمل».

لمّا كانت الثقافة في أعلى سلّم اهتمامات الرئيس توري، حيث ربطها بسياسته الوطنية، لقد قال في الذكرى الأولى للاستقلال ٢ أكتوبر ١٩٥٩م: «إذا كانت الثقافة ظاهرةً غير منفصلة عن الإنسان؛ فيتحتّم على القادة السياسيّين، الذين اكتسبوا ثقة النّاس بطريقة حرّة وديمقراطية، مسؤولية توجيه تلك الثقافة على النَّهْج الصحيح، فَهُم- في الوقت نفسه- الناطقون والممثلون أو المدافعون (الرسميّون) عن تطلّعات شعوبهم وقِيَمهم الثقافية»[٢].

السياسة الخارجية الفرنسية وتحدياتها وآثارها على إدارة سيكو توري:

في الوقت الذي كانت فيه نيران حرب الاستقلال مشتعلةً في الجزائر؛ أراد ديغول منح الدول الإفريقية جنوب الصحراء استقلالاً ضمنيّاً، لتَكُون لفرنسا الكلمة

(١) Basil Davidson (1983 :127) Modern Africa: A Social and Political History, Longman, London, New York.

(٢) Sekou Toure (1959) L'experience Guineenne et L' Unite Africaine, Impremerie Lemasson Saint-Lo, (Manche). P109.

العليا في السياسات الخارجية والداخلية والأمنية العسكرية والاقتصادية لهذه الدول.

وكانت فرنسا تحلُم بأن تستعيد قوتها وهيمنتها على غينيا؛ لِمَا وهبها اللّه لها من الموارد الطبيعية والأراضي الزراعية الخلابة، فهناك تسعة أنهار إقليمية تنبع من غينيا، منها على سبيل المثال نهر النيجر.

ولقد سمّى الكاتب الفرنسيّ رولان بريه (Roland Pré) غينيا: «الانفجار الجيولوجي»Scandale Geologique ، وقال: «وتحتفظ غينيا الفرنسية باحتياطيات هائلة من المواد الخام على كامل أراضيها، ولكننا سوف ننظر بشكلٍ رئيسيٍّ إلى الودائع القريبة من البحر، التي من المرجّح أن تُستغل الآن: الإيداع الحديدي لشبه جزيرة كالوم، ويشمل جزيرة تومبو... يشكّل واحداً من أكثر الودائع العالمية المستوردة، متوسط محتوى الحديد من الخام الإيجابي المعترف به هو ما يقرب من ٥٪، والحمولة من هذا الخام الإيجابي المعترف بها هو ٦٠٦،٠٠٠،٠٠٠ طن. أما بالنسبة للخام المحتمل؛ فيمكن تقدير حمولته بحوالي ٢ مليار طن؛ بمتوسط ٤٤٪ من الحديد»[١].

جازف سيكو توريه في خطبته المشهورة، فكانت كإحدى الموبقات السّبع آنذاك، وصارت غينيا الدولة الفرانكوفونية الوحيدة في القارة الإفريقية التي عارضت خطّة فرنسا؛ متيقنة بأنّها لا تضمن لإفريقيا استقلالاً حقيقيّاً، فحوّلت خطبة سيكو توريه الحُلُم الفرنسيّ إلى كابوس.

وجاء ردّ الفعل الفرنسي أشبه بانتقام الحبيب المهجور، ففادر ثلاثة آلاف فرنسيّ غينيا، حاملين معهم كلّ ما يستطيعون، ومدمّرين كلّ ما لم يستطيعوا نقله، فالمدارس ودُور الحضانة والمباني الإدارية العامّة حُطِّمَت، والسيارات والكتب والأدوية وأدوات المؤسّسات البحثية والجرارات خُرِّبت وسُحِقَت، والخيول والأبقار في المزارع قُتلت، والأطعمة حُرقت أو سمّمت[٢].

واتخذت الاستخبارات الفرنسية عدة خطوات لتُبْرِكَ غينيا سيكو توريه على قَدْميها أمام فرنسا العظمى، في تلك الأثناء كان جاك فوكار- رئيس الاستخبارات الفرنسيةSDECE[٣] - موجوداً في دكار مع فريقه المكلّف بغينيا، وكان موريس روبرت Maurice Robert المسؤول عن غينيا.

ومن العمليات التي دبّرتها الاستخبارات الفرنسية لإسقاط حكم سيكو توريه:

- شنّ حربٍ اقتصادية ودبلوماسية على غينيا: اقترح هذه الفكرة الجنرال بول غرسون Paul Grossion، فقامت الخدمة السابعة بالاستخبارات الفرنسية بتنفيذها بقيادة غاي ماريانGuy Marienne ، حيث قام بطباعة ملايين من العملة الغينية المزوّرة بمطبعة SDECE، وإدخالها بين العملة الغينية الصحيحة[٤]؛ لضرب اقتصاد غينيا الدولة الشابة؛ دولة سيكو توريه،

---

(١) Roland Pré (1951 : 90) L›Avenir de la Guinée française, Imprimerie. de Lescaret, Paris.

(٢) Guinea: (71-Bram Posthumus, (2016 :70 Masks, Music and Minerals, Hurt & Co. ltd, London.

(٣) Service de Documentation Extérieure et de Contre-Espionnage (SDECE).
خدمة التوثيق الخارجية والاستخبارات المضادة.

(٤) أقرّ موريس روبرت، الجاسوس الفرنسي المكلف بشؤون غينيا، وكان دائماً على الخط المباشرة مع جاك فوكار كبير الجواسيس الفرنسيين، في كتابهMinistre de l'Afrique ، وفي مقابلة أجراها أندريه رينوت Andre Renault، بأن هذه العملية كانت ناجحةً جدّاً، وأن الأوراق المزيفة صُنعت بمعرفة الاستخبارات الفرنسية، وسُربت بواسطة الغينيّين في المنفي في السنغال.
Ahmed Sekou (68-Andre Lewin, (2009:67 Tome 4, L'Harmattan, (1984-Touré (1922 Paris.
Histoire (50-Roger Faligo (2012: 45 politique des Service Secret Français: de la seconde Guerre Mondiale a nos jours, La Découverte, Paris

ويقرّ موريس روبرت بحقيقة هذه الحادثة[1].

– التمركز على الحدود الغِينية، وبخاصّة السنغالية والإيفوارية: بغرض تنظيم الجيش الفولاني في منطقة فوتا جالون، كنقطة انطلاق لشنّ حربٍ أهليةٍ على إدارة سيكو توريه، بقيادة العقيد فريدي بوير Freddy Buer.

– تخطيط عملية اغتيال الرئيس سيكو توريه في ١٩٦٠م: دُبّرت على يد العقيد Triston Richard، أحد رموز المباحث والاستخبارات الفرنسية في الشؤون الإفريقية، وأخفقت عملية الاغتيال؛ لأنّ استخبارات جهمورية تشيكوسلوفاكيا أبلغت الرئيس توريه، وتمّ كشف جهاز التنصت من قِبل قوات الأمن التونسية[2].

الرئيس سيكو توريه في مواجهة المؤمرات الفرنسية:

بدأ سيكو توريه بتغيير العملة الوطنية بين حينٍ وآخر؛ تفادياً لتكرار عملية الأوراق المزورة التي دبّرتها فرنسا.

كما أوقف التجارة معها بشكلٍ شبه نهائي، وأجبر المواطنين على اختيار الاثنين يوماً للسوق الوطني؛ بدلاً من أن يكون لكلّ مدينة يوم سوق خاصٌّ بها، واستخدم أسلوب «أنّى لك هذا؟».

ولم يعد الرئيس سيكو توريه يرى حوله «سوى جواسيس وعملاء للكولونيالية القديمة والجديدة، وللإمبريالية العالمية، وللرجعية الإفريقية والغِينية»، وكان يحلو له أن يردد أنّ كلّ «ثورة تستتبع ثورةً مضادة؛ مثلما تستتبع الحياة والموت»، وأنّ «العنف الثوريّ هو ترياق العنف الرجعي والتآمري»، وأنّ «الثورة الغِينية لا بقاءَ لها ولا حياةَ؛ إلا بقدر ما تُفلح في أن تَكُون غينيا «مقبرة» للإمبرياليّين وعملائهم، وأذنابهم من الرجعيّين وخونة الأمّة والمرتدّين والمتخاذلين وأزلام الشيطان»[3].

وقد أدّت هذه السياسة إلى الاعتقالات والعنف، وخروج مئات الآلاف من الغِينيين إلى الدول المجاورة، لأنّ الرئيس فَقَدَ الثقة في الجميع، ولم يعد يدري مَن معه ومَن العدو.

أحمد سيكو توري والعمل الإفريقي:

لما انسحبت غينيا من المجتمع الفرنسيّ لقيت ما لقيت من صنوف التهديدات، التي كادت الدولة تنهار بسببها؛ لولا التفاف الشعب الغِينيي حول رئيسهم سيكو توري، وبرغم ذلك؛ لم تحدّ هذه الأزمات من طموح سيكو توري.

– توحيد الدول الإفريقية المستقلة تحت لواءٍ واحد:

سعى سيكو توري إلى توحيد الدول الإفريقية المستقلة تحت لواءٍ واحد، وكان لزيارته للرئيس الغاني «كواميه نكروما» أثرٌ كبيرٌ في غرس البذرة الأولى لتأسيس مُنظّمة الوحدة الإفريقية (الاتحاد الإفريقي حاليّاً)، حيث كوّنَا «اتحاد غينيا وغانا»، وانضمت إليهما مالي في ١٩٦٠م، وسُمّي: «اتحاد الولايات الإفريقية المستقلة»، بالفرنسية (UEAI)، وبالإنجليزية (UIAS)[4].

---

(١) وهناك شهادات كثيرة تُلقي الضوء على قضية الأوراق النقدية المزيفة، منها مقتطفات من عمل الجنرال Aussaresses: «لم أقل كلّ شيء، السرّ النهائي في خدمة فرنسا»؛ قاله الجنرال في مقابلة مع Jean–Charles Denia:

جان: قد يبدو بأنّ قصة الأوراق النقدية المزيفة في الستينيات كانت معروفة لدى الجميع، لأجل إسقاط النظام في غينيا؟

الجنرال: لقد كانت الفكرة جيدة، إنها كانت فكرتنا، ولكنها لم تكن من اختصاص خدمة العمل(Service Action) ، لم أطلع على تفاصيل العملية، فالذي أعرفه فقط هو أنّ مورفان Morvan مدير الخدمة السابع (من الاستخبارات) هو الذي طبع الملايين من العملة الغينية المزيفة وإقحامها في اقتصاد غينيا من خلال قنوات مختلفة...، واعتقد أنّ هذه العملية سوف تكون ضربة خطيرة للاقتصاد الغيني.

(٢) Histoire ,(50-Roger Faligo (2012 : 45 politique des Service Secret Français: de la seconde Guerre Mondiale a nos jours, La Découverte, Paris.

(٣) جورج طرابيشي (٢٠٠١:٢٠): أنظمة الاستبداد العقائدي: غينيا سيكو توري نموذجاً، جريدة الحياة، العدد ١٣٨٤٧، ص ٢٠.

(٤) جبريل فابوري كروما: http://afrikaar.com/7337/تأريخ-الاتحاد-الإفريقي

انقسم الاتحاد بسبب الخلافات إلى وحدتَيْن متنازعتَيْن: وحدة مونروفيا، ووحدة الدار البيضاء، ولقد كان لكلٍّ من هاتَيْن الوحدتَيْن فلسفة متباينة في البحث عن حلول المشكلات الإفريقية.

ولم يستسلم سيكو توري لهذه المشكلات برغم تفاقمها وتشابكها، فاتصل بأقدم رئيسَيْن في القارة: الرئيس الإثيوبي «هيلي سيلاسي» والرئيس الليبيري «ويليام تويمان»، مقترحاً فكرة وحدة إفريقية تحت لواء واحد، فاقتنع الرئيسان بفلسفة الرئيس توري، وبدأ كلٌّ منهما بإقناع نظرائهما بالفكرة، فاقتنعوا ووافقوا على إرسال وزراء خارجيتهم إلى العاصمة الإثيوبية لمناقشة سبل مَزْج الوحدتَيْن، وكلُّ هذه الأعمال كانت من أفكار سيكو توري.

- مساندته لجنوب إفريقيا في تحريرها دبلومسيّاً وماديّاً:

ساند سيكو توري جنوب إفريقيا في تحريرها دبلومسيّاً وماديّاً، وفي هذا يقول أحد رؤساء جنوب إفريقيا، في إحدى زياراته لغينيا كوناكري: «عندما قلتُ للرئيس ماناديلا بأني ذاهبٌ إلى غينيا، فقال لي بأن أُبَلّغ تحيته الأخوية الحارّة إليكم- رئيس غينيا- وأن أقدّم إليكم الشكر على دعمكم ومساعدتكم لشعب جنوب إفريقيا في مقاومتهم لأجل التحرير»، فردّ الرئيس الغِيني قائلاً: «إنّ دولتنا صادقة لحُلْم القومية الإفريقية التي ظلّت جزءاً من سياستنا الخارجية»[1].

تقوية شوكة حكومة الرئيس نَكرُومَا:

ومن أعمال سيكو توري: تقوية شوكة حكومة الرئيس نَكرُومَا- رئيس غانا- في الانقلاب العسكري عام ١٩٦٦م، وقد دعاه أحمد سيكو توري إلى تولّي منصب نائب الرئيس لحكومة غينيا، وهو مشهد لم يتكرر في تاريخ السياسة العالمية كثيراً إلا في غينيا في عهد سيكو توري.

(١) جبريل فابوري كروما: http://www.alquds.uk/?p=383582

أحمد سيكو توري وفكره الإسلامي:

رَفْض سيكو توري لنظرية فصل الدين عن الدولة:

رفض سيكو توري نظرية فصل الدين عن الدولة (أي فصل الإسلام عن الحياة الاقتصادية والسّياسيّة الاجتماعية)، ورأى أنّ تلك دعاوى السياسيّين الذين يريدون تسخير السياسة لأهوائهم وطموحاتهم، فلم يجد الرئيس الفيلسوف في العِلْم تعارضاً مع الدين، بل عدّ العِلْم أكبر برهان على وجود الله.

يرى أنّ مصطلح «السياسة الإسلامية» أدقّ من «الإسلام السياسي»:

ورأى سيكو توري أنّ مصطلح «السياسة الإسلامية» أدقّ من مصطلح «الإسلام السياسي»، بمعنى أنّ السياسة تعمل في نطاق ومحدّدات الإسلام، لا أن يكون الإسلامُ مُسخّراً للأهداف السياسية، فيأتي التمسّح بالدين لجعل السياسات مقبولة.

أحمد سيكو توري وجهوده الإسلامية:

مشاركته في تأسيس منظمة المؤتمر الإسلامي:

كان لهذا المناضل الإفريقيّ باعاً طويلاً في تسيير القضايا الإسلامية، وتوحيد صفوف قادة المسلمين في مواجهة التحديات، ولعلّ من أبرزها تأسيس منظمة المؤتمر الإسلامي (OCI/OIC منظمة التعاون الإسلامي).

فقد اقترح سيكو توري فكرة تأسيس المُنظّمة على الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود عند لقائه بجلالته عام ١٩٦٤م؛ ليكون همزة وصلٍ تجمع الدول الإسلامية، وتكون بهواً لعرض وحلّ مختلف مشكلات المجتمعات الإسلامية، وتحقّقت الفكرة في ٢٥ سبتمبر ١٩٦٩م في العاصمة المغربية الرباط.

دفاعه عن فلسطين ومقدّساتها الإسلامية:

تزامن تأسيس مُنظّمة المؤتمر الإسلامي مع العدوان الإسرائيلي على الشعب الفلسطيني وحرق الأقصى الشريف في ٢١ أغسطس ١٩٦٩م، لقد كان سيكو توري من أصحاب الصوت العالي في الدفاع عن فلسطين ومقدّساتها الإسلامية، منذ ذلك الوقت قطعت غينيا علاقاتها الدبلوماسية بإسرائيل، وقد اتجّه لعددٍ من الدول الإفريقية ساعياً لقطع علاقاتها بإسرائيل، قال Victor Levine وTimothy lake: «كان الإسلام- آنذاك- أداة التقارب الدبلوماسيّ بين الدول الإسلامية»[١].

نجاحه في إعادة عضوية مصر إلى منظمة المؤتمر الإسلامي:

ولمّا جُمّدت عضوية مصر في جامعة الدول العربية، ومُنظّمة المؤتمر الإسلامي، عقب توقيع اتفاقيات السَّلام المصرية الإسرائيلية، عمل سيكو توري جاهداً لإعادة مصر، فقد قال في اجتماع مُنظّمة المؤتمر الإسلامي عام ١٩٨٤م بالدار البيضاء: «لقد اتّضح لنا جميعاً: بأنّ مشاكلنا لن تُحلّ بتجميد عضوية مصر، بل على العكس، فقد ازدادت (مشكلاتنا) تعقّداً؛ لأننا صرنا أكثر ضعفاً، فبعد إبعاد مصر وتعليق عضويتها ضمّت إسرائيلُ القدسَ، وأصبحت حركة التحرير الفلسطينية (فتح) مهدّدة بالإبادة، وأصبحت سوريا تتعرض لاستفزازٍ متواصل، وهكذا دفعنا ثمناً غالياً لفُرقتنا»، وكان لهذه التصريحات الواضحة من الرئيس الغيني أثر كبير في إعادة عضوية مصر إلى منظمة المؤتمر الإسلامي.[٢]

ومن جهود سيكو توري خارج قارة إفريقيا:

محاولته حلّ الأزمة العراقية الإيرانية:

ولم تكن الأزمة العراقية الإيرانية غائبةً عن دائرة اهتمام سيكو توري، فقد بَذَلَ ما كان في وُسْعِه من المحاولات لوقف نزيف الدم بين الدولتَيْن المسلمتَيْن، وكان الرئيس الغيني رئيس «لجنة السَّلام الإسلامية» التّابعة لمنظّمة المؤتمر الإسلامي، وقد ذكر أنه «سيكون صعباً جدّاً على المنظّمة أن تلعب دَوْر المحكمة للفصل

(١) 0/www.tandfonline.com/doi/abs/10.1080 0064246.1974.11431439

(٢) http://www.tandfonline.com/doi/abs/10.1 00064246.1974.11431439/080

بيـن الظالم والمظلـوم، ولكن يجب أن تنتهـي هذه الأزمة من خلال التدابير العادلـة (الدبلوماسية) والشريعة؛ لأنّ الشيطان يفرّق بين النّاس، والإسلام يوحّدهم».

إلـى أن قـال: «لسنـا هنا للإجابـة علـى أسئلتكـم، ولكن جئنـا حاملين السَّلام إليكم، ولأجـل وضع حدٍّ لهذه الحـرب، ونتوسـل إليكـم أن نركّز على حـلّ المشكلة، وإنّ القيـام بأيّ تضحيةٍ وجهدٍ في سبيـل الإسلام ليس خيانة، لا شكّ بأنّ هذه الحرب لن تقتصر على إيران والعراق؛ بل ستتجاوزهما إلى دولٍ أخرى...»[1].

إنتاجات سيكو توري العلمية:

أحمـد سيكو تـوري؛ كان رئيساً محبوبـاً على الساحة الإفريقيـة، وذلك لجهوده من أجـل سلام الدول الإفريقية واستقلالهـا، ولم يفوّت ملتقًى أو محفلاً دوليّاً إلا دافع فيه بالحجّة والمنطق عن القضايا الإفريقية والعربية أيضاً.

وقد خـطّ تجاربـه وأفكاره في عـدة مؤلفـات، منها: (إفريقيا والثورة)، (إفريقيا في مسيرة النهضة)، (الثورة والديـن)، (التجربة الفنية والوحـدة الإفريقية)، (لائحة الحـزب الديمقراطـي الغِينـي)، (الجماعـات العِرْقيـة والحزب والمسألة القومية)، (تاريخ الحزب الديمقراطي الغِيني)، (الشعب والثقافة والثورة).

بعض الجوائـز التـي حصـل عليهـا سيكـو توري:

حصل سيكو توري على عددٍ من الجوائز، اعترافاً بدَوْره المتميّـز في القارة السمراء، منهـا: «جائزة لينين للسلام» فـي مايـو ١٩٦١م، و «قـلادة النيـل» مـن الرئيـس الراحل عبدالناصر أثنـاء زيارته لمصر فـي ١٩٦١م، و «الدكتوراه الفخرية في التاريخ الإسلامـي» من جامعة الأزهر؛ تقديراً لدَوْره وكفاحه ضدّ المستعمر في القارة الإفريقية.

وفاته:

تُوفـي أحمـد سيكو تـوري عام ١٩٨٤م، خـلال عملية جراحيـة أُجريـت لـه فـي كليفلانـد (أوهايـو/ الولايات المتحـدة)، وهـو رئيس لجنـة السَّلام الإسلاميـة التابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامي.

الخاتمة:

ثلاثـة وثلاثـون عاماً على رحيل زعيـم دولة، له ما له وعليه ما عليه، جـاء سيكو توري حين جاء منعطفاً حاسماً فـي التاريـخ الإفريقي الحديـث، واعداً بالكثير فـي عالَمٍ يبحث عن الهوية.

بعـد فتـرةٍ وجيـزةٍ من رحيلـه؛ بـدأ الشعـب الغِيني، والإفريقي، يُدركون حقيقة الرجل الذي صاغ ملامح دولته حتـى اليوم، ويتباكون على رحيله حين يرون رؤساء آخرين يدفنون رؤوس شعوبهم في التراب.

هـذا هو سيكو توريـه، حفيد «سامـوري توريه»، الذي أخـرج الاستعمـار الفرنسي مـن أرضه دون حـربٍ ولا دم مهـراق، وأجبـر الفقـراء على حبّـه، وأجبر أعـداءَه على احترامه، حتى بعد مماته، وجعل لشعبه قيمةً بين الشعوب، وفتح آفاق الوحدة في العالَمَيْن الإفريقي والإسلامي ■

---

(١) Abdullah Al-Ahan (2017: 199) Conflict Resolution in Muslim Societies: the rule of the OIC. Qur'anic Guidance for Good Governance: A Contemporary Perspective. Islamic University of Malaysia.